 THE STUDY OF RELIGION AND HISTORY Vol.3, No.3, 2025	ISSN P: 3006-3329 ISSN E: 3006-3337
--	--

أساليب المشركين في مقاومة دعوة الإسلامية في تفسير "الدر المنثور للسيوطي" والدروس منها

Methods of the Polytheists in Confronting the Call of Islamia in the Light of *Al-Durr al-Manthur* by Jalal al-Din al-Suyuti and the Lessons Derived from It

Hassan Ali

*MS Scholar Department of Seerah & Islamic History International Islamic University Islamabad
ali883087@gmail.com*

Dr Syed Mujeeb ur Rahman

*Lecturer, Department of Seerat Studies, Allama Iqbal open university, Islamabad
Syed.mujeeb@aiou.edu.pk*

Abstract

All praise is due to Allah, Lord of the worlds, and peace and blessings be upon our master Muhammad, the Seal of the Prophets and Messengers, and upon his family and all his companions. To proceed: The call of Islam, from its very earliest emergence, was not an ordinary call; rather, it faced various forms of challenges and opposition. This was due to the reformative principles it carried, which transformed the structure of the pre-Islamic society and undermined the foundations of polytheism and injustice. The polytheists of Mecca realized that this call posed a direct threat to their beliefs and interests, so they employed every possible means and strategy to resist it and hinder its spread. The methods adopted by the polytheists in confronting the Islamic call were diverse. They included intellectual strategies such as denial and raising doubts; psychological tactics such as mockery and ridicule; as well as social and economic measures like boycotts and pressure. Moreover, this opposition extended to physical persecution and even plotting to eliminate the call at its inception. These methods were not random, but rather deliberate and calculated attempts to prevent people from accepting the truth.

The significance of this study lies in its reliance on what was reported by Jalal al-Din al-Suyuti in his exegesis *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi al-Ma'thur*, in which he compiled narrations and reports that vividly portray the موقف of the polytheists and reveal the nature of the confrontation between truth and falsehood. Through this, the research seeks to analyze these methods, clarify the approach of the Prophet ﷺ and his companions in dealing with them, and derive practical lessons that are beneficial for contemporary Islamic outreach. This study is divided into: the definition of the topic and its significance, followed by two main sections:

- **First Section:** Attempts to distort the message of the Prophet ﷺ.
- **Second Section:** The arguments and disputations of Quraysh with the Prophet ﷺ.

The first section aims to explain the methods used by the polytheists to distort the Prophet's message, including accusing him of sorcery, soothsaying, and madness, criticizing the Qur'an, and spreading doubts and rumors among people, with the aim of preventing them from accepting Islam and weakening its influence in society.

The second section aims to examine the forms of argumentation employed by Quraysh in confronting the Prophet ﷺ, analyze the nature of their arguments—which were based on falsehood and fallacies—and clarify their objectives in casting doubt on the message and attempting to

invalidate it. It also highlights the Prophetic methodology in responding to such arguments with wisdom, sound reasoning, and clear evidence.

Keywords: Polytheists, Islamic call (Da‘wah), Al-Durr al-Manthur, al-Suyuti, Quraysh, Prophetic methodology, opposition strategies

مدخل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛ فإن دعوة الإسلام منذ بزوغ فجرها الأول لم تكن دعوةً عادية، بل واجهت صنوفاً متعددة من التحديات والمعارضة، لما تحمله من مبادئ إصلاحية غيّرت موازين المجتمع الجاهلي، وقوّضت أسس الشرك والظلم ومبانيها. وقد أدرك المشركون في مكة أن هذه الدعوة تمثل تهديداً مباشراً لعقائدهم ومصالحهم، فسعوا بكل ما أوتوا من الوسائل والأساليب إلى مقاومتها والصد من انتشارها.

وقد تنوعت أساليب المشركين في مقاومة الدعوة الإسلامية، فشملت الجوانب الفكرية من تكذيب وإثارة الشبهات، والجوانب النفسية من سخرية واستهزاء، إلى جانب الأساليب الاجتماعية والاقتصادية كالمقاطعة والضغط، بل تعدّى الأمر إلى الإيذاء الجسدي والتخطيط للقضاء على الدعوة في مهدها. وهذه الأساليب لم تكن عفوية، بل جاءت ضمن محاولات مدروسة لصدّ الناس عن اتباع الدعوة والحق.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من اعتمادها على ما أورده الإمام جلال الدين السيوطي .رحمه الله. في تفسيره "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" حيث جمع فيه الروايات والآثار التي تُصوّر بدقة مواقف المشركين، وتكشف عن طبيعة المواجهة بين الحق والباطل. ومن خلال هذا العرض، يسعى البحث إلى تحليل تلك الأساليب، وبيان منهج النبي ﷺ وأصحابه .عليهم الرضوان. في التعامل معها، واستنباط الدروس والعبر التي تفيد في واقع الدعوة المعاصرة.

ومما يزيد هذه الدراسة قيمة وتوثيقاً، هو اعتمادها على ما أورده الإمام جلال الدين السيوطي .رحمه الله. في تفسيره "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، حيث نستنبط من خلال الروايات والآثار كيفية تصدي النبي ﷺ وأصحابه .عليهم الرضوان. لهذه المؤامرات، ونستخرج العبر والدروس العملية التي تبني الشخصية المسلمة المعاصرة في مواجهة التحديات. وتنقسم هذه المقالة إلى تعريف الموضوع وأهميته وإلى مبحثين: المبحث الأول: محاولة تشويه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. المبحث الثاني: مجادلة قريش للنبي .صلى الله عليه وسلم. والغرض من هذين المبحثين إلى بيان الأساليب التي انتهجها المشركون في تشويه دعوة النبي ﷺ. من خلال اتهماته بالسحر والكهانة والجنون، والطعن وغير ذلك في القرآن الكريم، وبثّ الشبهات والإشاعات بين الناس؛ وذلك بقصد صدّهم عن قبول الدعوة الإسلامية، وإضعاف تأثيرها في المجتمع. والهدف من هذين المبحثين إلى دراسة صور الجدل الذي مارسه قريش في مواجهة النبي ﷺ. وتحليل طبيعة هذا الجدل القائم على الباطل والمغالطات، وبيان مقاصده في التشكيك بالدعوة ومحاولة إبطالها، مع إبراز المنهج النبوي في الردّ على تلك المجادلات بالحكمة والحجة والبرهان.

تعريف الموضوع

فإن المراد بموضوع "أساليب المشركين في مقاومة دعوة الإسلامية في تفسير الدر المنثور للسيوطي" دراسة الطرق والوسائل التي استخدمها المشركون في التصدي للدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ، كما وردت في الروايات والآثار التي جمعها الإمام جلال الدين السيوطي .رحمه الله. في تفسيره "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" . ويشمل هذا الموضوع تحليل تلك الأساليب بمختلف أنواعها، سواء كانت فكرية كالتكذيب وإثارة الشبهات، أو نفسية كالسخرية والاستهزاء، أو اجتماعية كالمقاطعة والضغط، أو مادية كالتعذيب والإيذاء، مع بيان مقاصد المشركين من وراء هذه الأساليب، وأثرها في مسار الدعوة الإسلامية.

أهمية الموضوع

تجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب محوري من تاريخ الدعوة الإسلامية، وهو أساليب المشركين في مقاومة دعوة الإسلامية، وما صاحبها من مواقف عدائية ومخططات متنوعة هدفت إلى إيقاف انتشار الدين الإسلامي في مراحله الأولى. وكما تبرز أهمية هذا البحث في اعتماده على تفسير "الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي"، وهو من أهم مصادر التفسير بالمأثور التي تجمع الروايات والأحاديث والآثار المتعلقة بالآيات القرآنية، مما يمنح الدراسة أصالة علمية وموثوقية في الاستدلال.

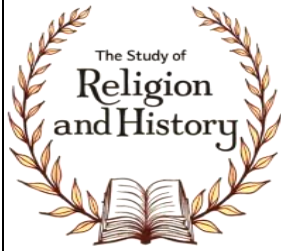
وتكمن أهمية الموضوع أيضاً في كونه يكشف عن تنوع الأساليب التي استخدمها المشركون، سواء كانت فكرية كالتكذيب وإثارة الشبهات، أو نفسية كالسخرية والاستهزاء، أو اجتماعية كالمقاطعة والضغط، أو مادية كالإيذاء والتعذيب، مما يساعد على فهم طبيعة الصراع الفكري والاجتماعي في بدايات الإسلام.

ومن جهة أخرى، فإن دراسة هذه الأساليب تبرز الحكمة النبوية في التعامل معها، وتوضح منهج النبي ﷺ وأصحابه في الصبر والثبات ومواجهة التحديات، وهو ما يمثل نموذجاً تربوياً مهماً يمكن الاستفادة منه في الواقع الدعوي المعاصر.

كما أن هذا الموضوع يُسهم في بناء وعيٍ دعويٍّ وفكريٍّ لدى الباحثين والطلاب، من خلال استنباط الدروس والعبر التي تعين على مواجهة الشبهات والتحديات الحديثة بأسلوب علمي رصين قائم على الفهم الصحيح للنصوص والروايات.

المبحث الأول: محاولة تشويه دعوة النبي .صلي الله عليه وسلم.

فإن محاولة تشويه دعوة النبي محمد لم تكن أمراً عارضاً، بل كانت منهجاً متعمداً من قبل خصوم الإسلام منذ بداية الدعوة في مكة المكرمة. فقد سعى المشركون إلى صرف الناس عن سماع الحق بكل الوسائل الممكنة. استخدموا في ذلك الاتهامات الباطلة، ونشر الشائعات، وإثارة الشبهات حول مصدر الرسالة. كما اعتمدوا على السخرية والاستهزاء لتقليل شأن النبي ﷺ ودعوته. ومع ذلك، بقيت الدعوة ثابتة وقوية بفضل صدقها وتأييد الله لها. وتُظهر هذه المحاولات أن الحق غالباً ما يواجه حملات تشويه، لكنها لا تؤثر في نهايته المشرقة.



فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ: { دَرَزْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَيْنَ شُهُودًا، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِنَا غَنِيْدٌ، سَأَاهُفُهُ صَعُودًا، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ، إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ } (1) .

عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوه لك فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثر مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر أو أنك كاره له. قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بشاعر الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله: الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلوا وما يعلو وإنه ليعظم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر ففكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأتريه عن غيره فنزلت { دَرَزْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } (2) .

الدروس والعبر

إعجاز القرآن الكريم

أقرّ الوليد بن المغيرة - وهو من أفصح العرب وأعلمهم بالشعر - بأن القرآن ليس من جنس كلام البشر، وفيه حلاوة وطلاوة وعلو. وهذا دليل واضح على أن القرآن معجزة إلهية.

معرفة الحق لا تكفي دون اتباعه

لقد أدرك الوليد صدق القرآن في قرارة نفسه، لكنه لم يتبعه. فالهداية تحتاج إلى إخلاص وقبول، لا مجرد معرفة.

خطر الكبر وحب الجاه

منعه كبره ومكانته بين قريش من قبول الحق. الكبر من أعظم موانع الهداية.

أثر الصحبة السيئة

تدخل أبو جهل وضغط عليه حتى غير موقفه. صاحب السيئ قد يصدّ عن الحق ويزين الباطل.

ضغط المجتمع قد يصدّ عن الحق

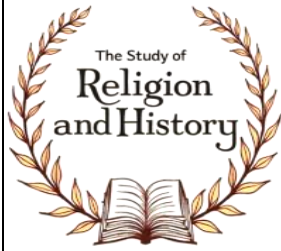
خشى الوليد من كلام قومه، فاختر إرضاءهم على حساب الحق. الواجب اتباع الحق ولو خالف الناس.

تشويه الحق عند العجز عن رده

لما عجزوا عن معارضة القرآن، وصفوه بالسحر. وهذه سُنّة أهل الباطل في كل زمان.

(1) Surah Al-Muddathir (Verses 11-26):

(2) Imam Jalal-ud-Din Al-Suyuti ne Ad-Dur al-Manthur (Vol 8, Page 330)



قوة تأثير القرآن في القلوب

حتى أعداء الدعوة تأثروا بكلام الله عند سماعه . وهذا يدل على عظمة القرآن وتأثيره العميق .

عاقبة الإعراض عن الحق

أنزل الله فيه قوله تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} تهديد شديد لمن عرف الحق ثم أعرض عنه .

قال الله تعالى في الوليد بن المغيرة: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (3) .

روى الإمام أحمد بن حنبل: "أن هذه كانت السبب في تمكن الإيمان من عثمان بن مظعون، فإنها لما نزلت كان عثمان بن مظعون بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حديث الإسلام، وكان إسلامه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم وقرأها النبي عليه . قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي . وعن عثمان بن أبي العاص: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ شخص بصره، فقال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ الْآيَةَ ...} (4) .

المطلب الأول: ما أنزل الله في النفر الذين كانوا مع المغيرة

قال الله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، قَوْلِكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (5) .

عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يامعشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا فقالوا أنت فقل وأتم لنا به رأيا نقول به، قال: لا بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا نقول كاهن، قال: ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكهان ولا بسجعهم، قالوا فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا بجائحه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا بعقده قالوا فماذا نقول قال: والله إن لقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لعذوق وإن فرعه لجناء فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك فأنزل الله في الوليد وذلك من قوله: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} إلى قوله: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} (6)، وأنزل الله في أولئك النفر الذين كانوا معه: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} أي أصنافا {قَوْلِكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .

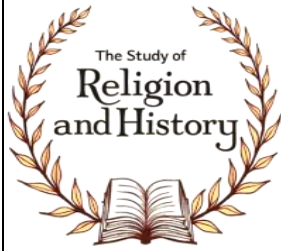
(3) Surah An-Nahl, Verse 90:

(4) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 5, p. 159.

Musnad Imam Ahmad ibn Hanbal, Bab: Musnad Abdullah ibn Abbas (RA), Vol. 5, pp. 88–89, Hadith No. 2919.

(5) Surah Al-Hijr: 15:90–93

(6) Surah An-Nahl, Verse 90:



الدروس والعبر

وضوح الحق رغم محاولات التشويه

أجمع القوم على أنهم لا يستطيعون وصف القرآن بالكهانة ولا بالجنون ولا بالسحر على حقيقته. وهذا يدل على أن الحق كان ظاهرًا لا يمكن إنكاره.

اعتراف ضمني بإعجاز القرآن الكريم

قول الوليد: "إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة... اعتراف صريح بعظمة القرآن. حتى أعداء الإسلام شهدوا بجلالته وبلاغته.

التخطيط الإعلامي المضلل

اتفقوا على نشر وصف كاذب (أنه سحر يفرق بين الناس) رغم علمهم ببطلانه. هذا يبين أن أهل الباطل قد يعتمدون الكذب لتضليل الناس.

خطورة توحيد الباطل

طلب الوليد منهم أن يتفقوا على رأي واحد حتى لا يتناقضوا. أهل الباطل قد يجتمعون على الكذب، بينما أهل الحق قد يضعفون بالفرقة.

الكبر يمنع من اتباع الحق

مع علمهم بالحقيقة، رفضوا اتباعها حفاظًا على مكانتهم. الكبر وحب الزعامة من أعظم أسباب الضلال.

تحريف الحقائق لخداع الناس

وصفهم للقرآن بأنه يفرق بين المرء وأهله هو قلبٌ للحقيقة. لأن القرآن في الحقيقة يجمع على الحق، لكنه يفرق بين الحق والباطل. عن مجاهد في قوله: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} قال: هم رهط من قريش عضهوا كتاب الله فزعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين (7).

المطلب الثالث: مقالة ابن الزبيري وما نزل فيه

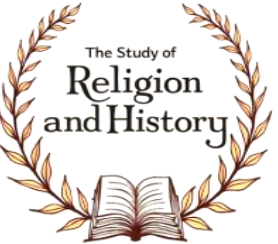
فأنزل الله تعالى في ذلك: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} إلى قوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا، وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ} (8).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} قال المشركون: فالملائكة وعيسى وعزير يعبدون من دون الله فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} عيسى وعزير والملائكة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عبد الله بن الزبيري إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} قال ابن الزبيري: قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير

(7) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 5, pp. 98–99.

(8) Surah Al-Anbiya (21:98–102)

 THE STUDY OF RELIGION AND HISTORY Vol.3, No.3, 2025	ISSN P: 3006-3329 ISSN E: 3006-3337
--	--

وعيسى ابن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا فنزلت: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ، وَقَالُوا آلَهُنَّنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} (9)، ثم نزلت: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} شق ذلك على أهل مكة، وقالوا: شتم الآلهة، فقال ابن الزبيري: أنا أخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعي، فقال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل عبد من دون الله قال: بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبيري: خصمت، ورب هذه البنية يعني الكعبة أليست تزعم يا محمد أن عيسى عبد صالح وأن عزيزا عبد صالح وأن الملائكة صالحون قال: بلى، قال: فهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيزا وهذه بنو مليح تعبد الملائكة فضج أهل مكة وفرحوا فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} عزيز وعيسى والملائكة: {أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} ونزلت: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} (10) .

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصِدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} (11) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم! فنزلت الآية {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصِدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} (12) .

الدروس والعبر

إثارة الشبهات من أهل الباطل

لما نزل قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} سارع المشركون إلى الاعتراض وإثارة الشبهات. وهذه سُنَّة قديمة: التشكيك بدل التسليم للحق.

(9) Surah Az-Zukhruf: 43:57–78

(10) Surah Az-Zukhruf: 43:57. Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 5, pp. 679–680.

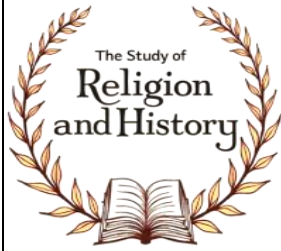
(11) Surah Al-Anfal: 8:32–33

(12) Surah Al-Anfal: 8:32–33

Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 5, p. 55.

Muttafaqun 'alayh (Agreed upon):

- Al-Bukhari, *Kitab at-Tafsir*, Bab: {Wa ma kana Allahu liyu'adhdhibahum wa anta fihim...}, Vol. 2, p. 160, Hadith No. 4649.
- Muslim, *Kitab Sifat al-Qiyamah wal-Jannah wan-Nar*, Bab: same verse, Vol. 2, p. 374, Hadith No. 2796.



الجدل بالباطل والتلبيس

قام عبد الله بن الزبيري بمغالطة، فعمّم الحكم ليدخل فيه عيسى عليه السلام وعزير والملائكة. وهذا من أساليب الجدل الفاسد: خلط الحق بالباطل.

الفرق بين العابد والمعبود

الآية تشمل من رضي بالعبادة أو دُعي إليها، أما الأنبياء والملائكة فلم يرضوا بذلك. فلا يُعاقَب الصالحون بذنب غيرهم. بيان القرآن الكريم وتفصيله أنزل الله الرد الحاسم: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} فيبين أن الأنبياء والملائكة خارجون من هذا الحكم. الفرع بالباطل عند الجهال.

فرح أهل مكة وظنّوا أنهم انتصروا بالحجة. لكن فرحهم كان مبنياً على فهم خاطئ.

سرعة ردّ القرآن على الشبهات

لم يترك القرآن هذه الشبهة، بل ردّ عليها فوراً. وهذا دليل على عناية الوحي بحماية العقيدة

سوء الفهم سبب للضلال

اعتمدوا على ظاهر العموم دون فهم السياق والمراد. فهم النصوص يحتاج إلى علم ودقة.

خطورة القياس الفاسد

قاسوا عبادة الأصنام على عبادة الأنبياء والملائكة. وهذا قياس باطل؛ لأن الأنبياء ينهون عن عبادتهم.

المبحث الثاني: مجادلة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة يدعو الناس سرا وجهراً ليلاً ونهاراً إلى توحيد الله وعبادته ويحذرهم عن الشرك وعبادة الأصنام، وقريش مكة ينتقلون من أسلوب إلى أسلوب جديد ليصدوا الناس عن هذا الدعوة والدين العظيم ويكفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوته، ولكنهم فشلوا في هذا الأسلوب فالناس يدخلون في الدين ويتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتقل كفار مكة إلى أسلوب جديد، ألا وهو أسلوب الجدال والمرء لدحض الحق وصد الناس عن دين الله، كما قال الله تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعُزُّكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ} (13).

عن أبي مالك رضي الله عنه في قوله: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} ونزلت في الحرث بن قيس السلمى (14). قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (15).

(13) Surah Ghafir: 40:4

(14) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 7, p. 273.

(15) Surah Ghafir: 40:56

عن أبي العالية رضي الله عنه قال: إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان ويكون من أمره فعظموا أمره وقالوا: يصنع كذا فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَبْرٍ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّاكِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} قال: لا يبلغ الذي يقول {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم إن يتعوذ من فتنة الدجال {لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} الدجال (16) .

من الأمور التي يجادل بها المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: البعث بعد الموت

وقد جادل المشركون في عقيدة البعث، كما قال الله تعالى عنهم: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} (17) .

عن ابن جريج في قوله: {ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} قال: أنكروا البعث فقالوا: من يستطيع أن يرجعنا ويحيينا (18) .

قال الله تعالى: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا} (19) .

عن ابن جريج في قوله: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ} الآية قال: قالها العاصي بن وائل (20) .

قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} (21) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد أحيي الله هذا بعد ما أرى قال: نعم! يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات من آخر يس: {أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} إلى آخر السورة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عبد الله بن أبي وفي يده عظم حائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكسره بيده ثم قال: يا محمد كيف يبعثه الله وهو رميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله هذا ويميتك ثم يدخلك جهنم قال الله: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبي بن خلف وفي يده عظم حائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكسره بيده ثم قال: يا محمد كيف يبعثه الله وهو رميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يبعث الله هذا ويميتك ثم يدخلك جهنم قال الله: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} .

(16) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 7, p. 294.

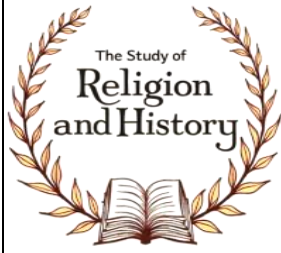
(17) Surah Qaf: 50:3

(18) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 7, p. 589.

(19) Surah Maryam: 19:66

(20) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 5, p. 532.

(21) Surah Ya-Sin: 36:77-79



عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبي بن خلف الجمحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم نحر فقال: أتعدنا يا محمد إذا بليت عظامنا فكانت رميما أن الله باعشنا خلقا جديدا ثم جعل يفت العظم ويذره في الريح فيقول: يا محمد من يحيي هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم يميتك الله ثم يحييك ويجعلك في جهنم ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ}

عن أبي مالك قال: جاء أبي بن خلف بعظم نخرة فجعل يفته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال: من يحيي العظام وهي رميم؟ فأُنزل الله: {أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} إلى قوله: {وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشام جاء بعظم حائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذراه فقال: من يحيي العظام وهي رميم؟ فقال الله: يا محمد! {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} .
عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إن الناس يحاسبون بأعمالهم ومبعوثون يوم القيامة أنكروا ذلك انكارا شديدا فعمد أبي بن خلف إلى عظم حائل قد نخر ففته ثم ذراه في الريح ثم قال: يا محمد إذا بليت عظامنا إنا لمبعوثون خلقا جديدا فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من استقبله إياه بالتكذيب والأذى في وجهه وجدا شديدا فأُنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} (22) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذني أما تكذبيه إياي فقلوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون على من آخره وأما أذاه إياي فقلوله إن لي ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ويكن له كفوا أحد (23) .

الدروس والعبر

شبهة إنكار البعث قديمة ومتكررة

جاء العاص بن وائل بعظمٍ بالٍ مفتتًا وقال مستهزئًا: هل يحيي الله هذا بعد أن صار رميمًا؟ وهذه الشبهة تتكرر عند منكري القيامة في كل زمان.

قدرة الله لا يعجزها شيء

جاء الرد من القرآن الكريم بأن الله الذي خلق الإنسان من نطفة قادر على إعادته بعد الموت. فالإعادة أهون من الابتداء في نظر البشر.

غفلة الإنسان عن أصله

فإن الإنسان ينسى ضعفه ويجادل ربه.

الاستكبار سبب إنكار الحق

العاص بن وائل استبعد البعث استكبارًا لا بحثًا عن الحق. الكبر يحجب الإنسان عن الهداية.

(22) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 7, pp. 74-76.

(23) Al-Bukhari, *Sahih al-Bukhari*, Kitab at-Tafsir, Bab: {Wa imra'atuhu hammadat al-hatab}, Vol. 6, p. 180, Hadith No. 4974..

أسلوب الاستهزاء لا ينفع في رد الحق

استخدام العظم الميت كان نوعاً من السخرية، لكنه لا يغيّر الحقيقة. الحق لا يتأثر بالاستهزاء

المطلب الثاني: الروح

ومن المجادلات التي أثار المشركون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سواهم عن الروح، قال الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (24).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة، وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه فقالوا: يا محمد! ما الروح؟ فما زال توكأ على العسيب وظننت أنه يوحى إليه فأنزل الله: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (25).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه فنزلت: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} قالوا: أوتينا علماً كثيراً: أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً فأنزل الله تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} (26).

عن ابن عباس رضي الله عنهما إن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يجز إليهم شيئاً فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالوا: من جاءك بهذا قال: جبريل قالوا: والله ما قاله لك إلا عدو لنا فأنزل الله تعالى: (قل من كان عدواً لجبريل (27)).

(24) Surah Al-Isra: 17:85

(25) Al-Bukhari, *Sahih al-Bukhari*, Kitab at-Tafsir, Bab: Surah Al-Isra (17:85).

Al-Bukhari, *Sahih al-Bukhari*, Kitab at-Tafsir, Bab: {Wa yas'alunaka 'an ar-ruh}, Vol. 6, p. 87, Hadith No. 4721.

Muslim, *Sahih Muslim*, Kitab Sifat al-Qiyamah wal-Jannah wan-Nar, Bab: Su'al al-Yahud an-Nabi ﷺ 'an ar-ruh, Vol. 4, p. 2152, Hadith No. 2794.

(26) Surah Al-Kahf: 18:109

Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 5, p. 331.

Al-Tirmidhi, *Sunan al-Tirmidhi*, Abwab at-Tafsir, Bab: Min Surah Bani Isra'il, Vol. 5, p. 303, Hadith No. 3140.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(27) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 5, p. 331.

الدروس والعبر

أن علم الغيب من خصائص الله تعالى

لما سئل النبي ﷺ عن الروح جاء الجواب الإلهي: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} يدل على أن حقيقة الروح من الغيب الذي اختص الله بعلمه.

محدودية علم الإنسان

فإن الإنسان مهما بلغ علمه يبقى علمه محدوداً أمام علم الله.

أدب النبي ﷺ في انتظار الوحي

كان محمد بن عبد الله ﷺ ينتظر الوحي دون أن يتكلم من عند نفسه. وهذا دليل على صدق النبوة وأن القرآن وحي من الله.

أسلوب أهل الكتاب لا طلب الهداية

سؤال اليهود لم يكن طلباً للعلم بقدر ما كان امتحاناً وتعجيزاً. كثير من الأسئلة قد تكون للجدل لا للحق.

المطلب الثالث: القدر

وقد خاصم المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر، وهو إثبات ما قدرة الله وقضاه، وسبق، كما قال الله تعالى في القدر: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (28).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونهم في القدر فنزلت: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (29).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: ما أنزلت هذه الآية: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} إلا في أهل القدر (30).

الدروس والعبر

الجدل في مسألة القدر قديم

جاء مشركو قريش يخاصمون النبي ﷺ في مسألة القضاء والقدر. وهذا يدل على أن هذا الباب من العقيدة كان محل جدل منذ القدم.

(28) Surah Al-Qamar: 54:47-49

(29) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 7, pp. 682-683.

Muslim, *Sahih Muslim*, Kitab al-Qadr, Bab: Kullu Shay'in bi Qadar, Vol. 4, p. 2046, Hadith No. 2656.

(30) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 7, pp. 682-683.

Al-Haythami, *Majma' al-Zawa'id*, Vol. 7, p. 117, and he said: "Its chain of narration is hasan (good)."

إثبات عقيدة القدر في القرآن الكريم

قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} أي أن كل ما في الكون واقع بعلم الله وتقديره وحكمته.

إنكار الحق سبب الهلاك

عاقبة من يجادل في الحق ويعرض عنه عذاب شديد يوم القيامة.

محدودية إدراك الإنسان للقدر

فإن الإنسان لا يستطيع الإحاطة بحكمة الله في أقداره. لذلك يجب التسليم لله مع الأخذ بالأسباب.

الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان

الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان في الإسلام. لا يكتمل إيمان العبد إلا به.

خطر الجدال بلا علم

قريش دخلت في جدال عقدي دون علم أو هداية. الجدال في الغيب دون علم يؤدي إلى الضلال.

المطلب الرابع: القرآن الكريم

ومن الأمور التي جادل فيها المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم فقالوا عن القرآن، كما قال الله تعالى:

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (31).

عن مجاهد في قوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} قال: قريش وفي قوله: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} قال: كالجبعة للنبل.

عن السدي في قوله: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} قال: الغطاء أكن قلوبهم {أَنْ يَفْقَهُوهُ} فلا يفقهون الحق {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا}

قال: صمم وفي قوله: {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} قال: أساجيع الأولين (32).

وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يغير هذا القرآن أو يبدله، كما بين الله: {وَإِذَا تَنَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ

إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ} (33).

عن قتادة في قوله: {وَإِذَا تَنَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} قال: لا يرجون لقاءنا إيت بقرآن غير هذا أو بدله قال: هذا قول مشركي أهل

مكة للنبي صلى الله عليه وسلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ} (34).

(31) Surah Al-An'am: 6:25

(32) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 3, pp. 259–260.

(33) Surah Yunus: 10:15

(34) Surah Yunus: 10:16

Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 7, p. 347.

الدروس والعبر

تعنت المشركين مع القرآن

كان مشركو مكة يطلبون من النبي ﷺ أن يبذل القرآن أو يأتي بغيره. وهذا يدل على أن المشكلة لم تكن في الفهم بل في الرفض والعناد.

ثبات القرآن الكريم على مصدره الإلهي

فإن القرآن ليس من عند النبي ﷺ بل هو وحي من الله.

الرسول ﷺ لا يملك تغيير الوحي

النبي ﷺ مأمور باتباع الوحي كما هو دون تبديل أو تحريف. وهذا من دلائل صدق الرسالة.

الوحي مصدره الله وحده

فإن الآية تؤكد أن النبي ﷺ مجرد مبلغ وليس مؤلفاً للقرآن. فمصدر الدين هو الله لا البشر.

سنة المكذابين واحدة

مشركو مكة في طلبهم هذا يشبهون كل من يرفض الحق عبر التاريخ. أسلوب الاعتراض واحد وإن اختلف الزمان.

المطلب الخامس: نزول القرآن منجما علي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكذلك جادل المشركون في نزول القرآن منجما، كما قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} (35).

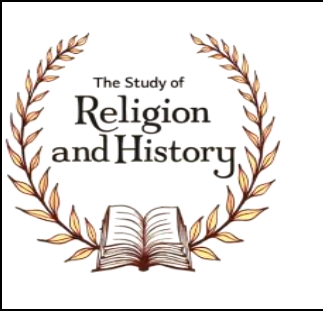
عن ابن عباس قال: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبيا فلم يعذبه ربه ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة ينزل عليه الآية والآيتين والسورة فأنزل الله على نبيه: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} جواب ما قالوا: إلى قوله: {وَأَضْلُ سَبِيلًا} (36)

عن قتادة في قوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} يقولون: كما أنزل على موسى وعلى عيسى قال الله: {كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} قال: بيناه تبينا .

عن ابن عباس في قوله: {كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} قال: كان الله ينزل عليه الآية فإذا علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلبه ويثبت به فؤادك .

(35) Surah Al-Furqan: 25:32

(36) Surah Al-Furqan: 25:32–34

	THE STUDY OF RELIGION AND HISTORY Vol.3, No.3, 2025	ISSN P: 3006-3329 ISSN E: 3006-3337
--	---	--

عن ابن عباس في قوله: {كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ} قال: لنشدد به فؤادك ونربط على قلبك {وَوَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} قال: رسلناه ترسيلاً يقول: شيئاً بعد شيء {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ} يقول: لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوكم لم يكن عندكم ما تحبب ولكننا نمسك عليكم فإذا سألوكم أجبت (37).

الدروس والعبر

اعتراض المشركين ليس طلباً للحق

قالوا: لماذا لم يُنزل القرآن الكريم جملة واحدة؟

﴿وهذا الاعتراض لم يكن بحثاً عن الحقيقة بل تعنتاً ومكابرة.

نزل القرآن تدريجيّاً لحكمة إلهية

بيّن الله تعالى أن نزول القرآن مفرّقاً كان لحكمة عظيمة:

- تثبيت قلب النبي ﷺ
- تربية الأمة خطوة خطوة .
- مواكبة الأحداث والوقائع .
- فالتدرج رحمة وتربية.

الرد على الشبهات بالحكمة

القرآن لم يكتفِ برفض الاعتراض، بل بيّن السبب والحكمة. وهذا من أسلوب الهداية الربانية.

سنّة الله في التربية بالتدرج

الشريعة لم تُفرض دفعة واحدة، بل نزلت الأحكام تدريجيّاً. وهذا يدل على يسر الإسلام وواقعته.

عناد الكفار وتكرار اعتراضاتهم

المشركون لو نزل القرآن دفعة واحدة لوجدوا اعتراضاً آخر. فالمشكلة ليست في الدليل بل في القلوب.

حكمة الله فوق إدراك البشر

أفعال الله لا تُقاس بعقول البشر المحدودة. كل تشريع له حكمة قد تظهر أو تخفى.

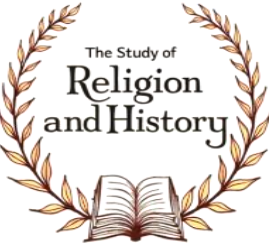
رحمة الله في التشريع

التدرج في التشريع رحمة بالأمة وتخفيف عنها. الإسلام دين رحمة وليس مشقة.

ثبات مصدر القرآن

نزول القرآن منجّماً لا يعني أنه من عند البشر، بل هو وحي منظم من الله. مصدره إلهي وليس بشريّاً.

(37) Al-Suyuti, *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bil-Ma'thur*, Vol. 6, pp. 254–255.

	THE STUDY OF RELIGION AND HISTORY Vol.3, No.3, 2025	ISSN P: 3006-3329 ISSN E: 3006-3337
---	--	--

الخاتمة: فيها النتائج والفوائد

الطعن في القرآن الكريم كانوا يصفون القرآن بأنه:

- سحر
- شعر
- كهانة
- أساطير الأولين

والهدف: تشويه مصدر الوحي وإبعاد الناس عنه.

2. طلب تغيير القرآن أو استبداله قالوا للنبي ﷺ: ائت بقرآن غير هذا أو بدله. وهذا يدل على رفضهم للحق لا بحثهم عنه.
3. الاعتراض على طريقة النزول. اعترضوا لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة. والقرآن ردّ بأن النزول التدريجي لحكمة إلهية في التربية والتثبيت.
4. والاستهزاء وكانوا يستهزئون بالآيات والرسول ﷺ ويثيرون الضحك بين الناس. أسلوبيهم: حرب نفسية ضد الدعوة.
5. التحريف والتأويل الباطل وكانوا يأخذون بعض النصوص ويحرفون معناها مثل قضية عيسى والملائكة في مسألة النار.
6. الضغط الاجتماعي والإعلامي وكانوا يتفقون على رأي موحد ضد النبي ﷺ ويمنعون الاختلاف بينهم حتى لا يكشف ضعفهم.
7. التهديد والإيذاء لم يقتصر الأمر على الجدل، بل وصل إلى:
 - الإيذاء الجسدي
 - الحصار
 - التهديد